علاقات الدولة السعودية الأولى
بالدول الأخرى

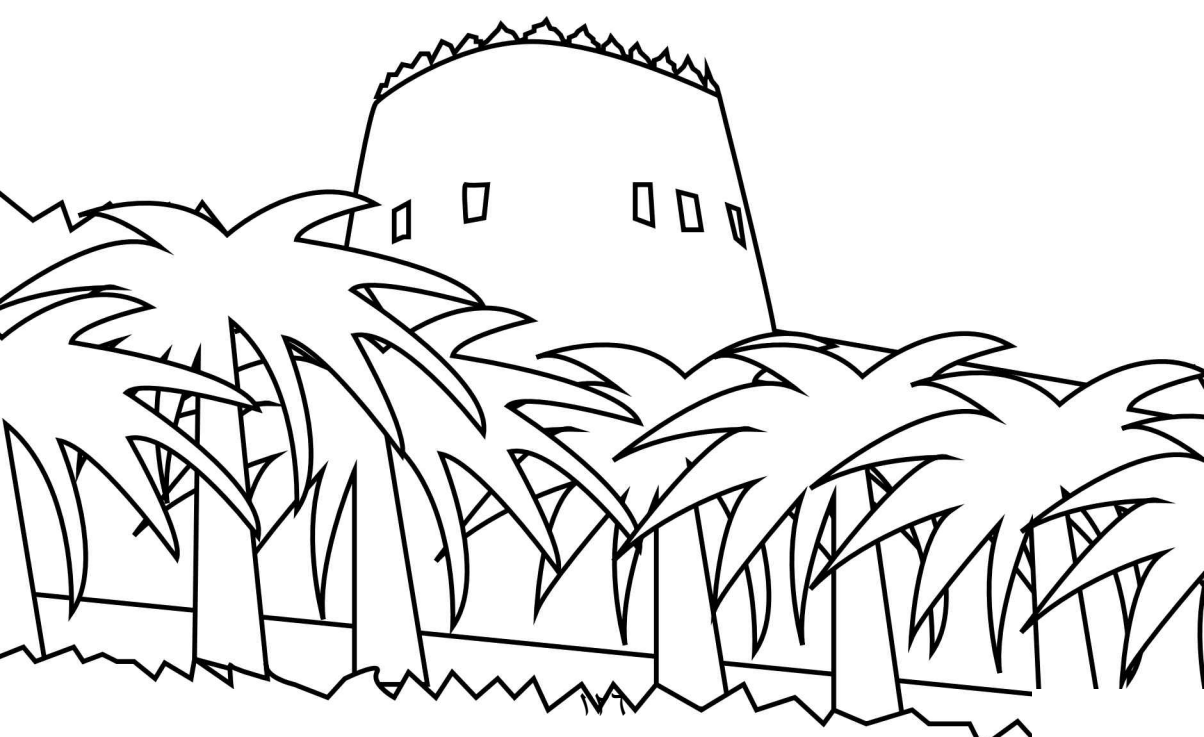

١-علاقتها بالدولة العثمانية:

سبق الحديث عن الدولة السعودية الأولى بأشراف الحجاز التابعين من الناحية الرسمية للدولة العثمانية. لكن الحجاز، وإن تبعت رسميًّا للعثمانيين، كان لها وضع خاص يختلف عن أوضاع الولايات العثمانية التي كانت تُحكَم حكمًا مباشرًا من قِبَل ولاة أو باشوات عثمانيين كانوا -إلا من ندر منهم- أتراكًا. وهنا سوف تُناقَش علاقة الدولة السعودية مع الدولة العثمانية ممثَّلة في كُلٍّ من باشا بغداد وباشا دمشق. أمَّا علاقة الدولة السعودية بحاكم مصر العثماني فسوف يُتَكلَّم عنها بانفراد فيما بعد؛ وذلك لما تَرتَّب على أعمال ذلك الحاكم ضد هذه الدولة من نتائج خطيرة.

أ-الدولة السعودية والعراق:

كانت البصرة البلدة التي قضى فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب أطول مدة في أسفاره العلمية خارج مسقط رأسه، وكانت البلدة التي بدأ فيها الجهر بمعارضة ما كان يراه مخالفًا للدين القويم. ثم اضطر نتيجة لذلك إلى مغادرتها. وحينما بدأت دعوته في نجد كان من بين من كتبوا ردودًا على مبادئها أناس من البصرة[1]. ولم تكن العراق، بصفة عامة، في منأى عَمَّا كان يجري داخل نجد عبر مراحل توحيد الدولة السعودية لها. ومن ذلك أن بعض معارضي تلك الدولة من النجديين نزحوا إلى الزبير وغيرها من البلدان العراقية، وظَلَّت العراق مأوى لمن لم يريدوا أن يدخلوا تحت الحكم السعودي بعد توحيد نجد.

على أن الاحتكاك بين الدولة السعودية الأولى والسلطات العثمانية في العراق بدأ نتيجة للأعمال العسكرية التي كانت تدور بين السعوديين وزعماء

(١) من هؤلاء القبَّاني الذي ألَّف ردَّين أحدهما: **فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبدالوهاب**، والثاني: **كشف الحجاب عن وجه ضلالة ابن عبدالوهاب**، وكلاهما لا يزال مخطوطًا.

بني خالد في مرحلة الهجوم السعودي على الأحساء. وقد بدأت الاشتباكات بين الطرفين عن طريق قبيلة المنتفق، التي كانت مضاربها في جنوبي العراق، ففي عام ١٢٠٠هـ ثار بعض زعماء بني خالد على سعدون بن عُرَير بمساعدة ثُوَيني بن عبدالله رئيس تلك القبيلة العراقية. وهُزِم سعدون، فلجأ إلى الدِّرْعيَّة. وفي تلك السنة هاجم أمير بُرَيدة، حجيلان بن حمد، قافلة تجارية قادمة من العراق إلى جبل شَمَّر، وقتل بعض رجالها، وأخذ ما معها من أموال لأهل الجبل[١].

وفي مستهل عام ١٢٠١هـ زحف ثويني بن عبدالله على نجد، واتَّجه إلى بُرَيدة فحاصرها. ومن المرجح أن ما قام به هذا الزعيم كان ردًّا على قبول الدِّرْعيَّة للزعيم الخالدي، سعدون بن عُرَير، الذي اشترك ثُوَيني في الإطاحة به. ومن المحتمل أن القافلة التي هاجمها حجيلان كانت تحت حماية المنتفق. فإن كانت كذلك فإن الهجوم عليها زاد من حماسة ثُوَيني لمهاجمة السعوديين. ولَعلَّ اختياره لبُرَيدة دليل على ذلك. لكن صمود حجيلان، وما وصل إلى ثويني بن عبدالله أثناء حصاره للبلدة المذكورة من أخبار خاصة بالعراق، جعلاه يرفع الحصار عنها، ويعود مسرعًا إلى بلاده.

وحين وصل ثُوَيني إلى العراق وجد أن باشا بغداد قد عزله عن رئاسة المنتفق، وعَيَّن بدلًا منه ابن أخيه حمود بن ثامر، فقامت بينه وبين خصومه معارك انتهت بهزيمته وانسحابه بمن معه إلى الصُمَّان بين الأحساء ونجد. وهنا هاجمه سعود بن عبدالعزيز، فتقهقر إلى العراق، وهكذا أصبح بين نارين. فاتَّجه إلى بني خالد طالبًا نجدتهم، فلم ينجدوه. ولما ضاقت به الحيل لجأ إلى الدِّرْعيَّة[٢]. وكان سعود بن عبدالعزيز -بعد هجومه على ثُوَيني بن عبدالله في

(١) انظر صفحة ٧٨ من هذا الكتاب.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٩٨ - ٩٩ و١٠٤ و١٣٨.

الصُّمَّان سنة ١٢٠٣هـ- قد اتَّجه إلى العراق حيث اشتبك مع فئات من قبيلة المنتفق[١]. وكان هذا أَوَّل مرة تدخل فيها القوات السعودية الأراضي العراقية.

واستمرت قبيلة المنتفق تستقبل الفارِّين من خصوم الدولة السعودية، كما حدث سنتي ١٢٠٤ و١٢٠٧هـ[٢]، مما جعل قادة تلك الدولة يُفكِّرون جِدِّيًّا في تقليم أظافر القبيلة المذكورة. وقد شجعهم على ذلك استيلاؤهم على المنطقة الشرقية من جزيرة العرب. فقاموا بغارات وصلت إلى حدود البصرة. وكانت غارات آل سعود على جنوبي العراق؛ إضافة إلى ما كانوا يُحقِّقونه من انتصارات على شريف مكة حينذاك، من العوامل التي جعلت حكام اسطنبول يدركون قوة الدولة السعودية الفتية ويأمرون باشا بغداد بالتحرك للقضاء عليها. لكن ذلك الباشا كان، فيما يبدو، يدرك صعوبة الإقدام على حرب صحراوية ضد قوات اشتهرت بخفَّة حركتها. ولَعلَّه كان يخشى أن يستغل غيابه عن العاصمة العراقية أحد من يَتطلَّعون إلى الباشوية. لذلك رأى أن يبحث عن رجل مناسب لينوب عنه في قيادة الحرب التي أُمِر بها.

وفي تلك الأثناء كان ثُوَيني بن عبدالله قد غادر الدِّرْعيَّة، واتَّجه إلى الكويت، ثم إلى بغداد حيث عفا عنه حاكمها. ومكث هناك فترة محاولاً أن يجد سبيله إلى العودة لرئاسة قبيلته. وكان له مناصرون في شرقي الجزيرة العربية من بني خالد وغيرهم؛ وبخاصة أولئك الذين لا يُكنُّون مَودَّة للدولة السعودية، وقد كتب بعض هؤلاء إلى باشا بغداد يثنون عليه، ويشيدون بخبرته العسكرية ودرايته بالمنطقة[٣]. وهكذا وجد فيه الباشا ضالته المنشودة، فأعاده إلى رئاسة المنتفق، وكلَّفه بقيادة الحملة ضد السعوديين.

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٦ و١٢٨.

(٣) ابن غنَّام، ج٢، ص١٨٨ - ١٨٩؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٨.

واجتمعت لثُوَيني بن عبدالله قوة كبيرة من البادية والحاضرة؛ وبخاصة من جنوبي العراق، واتَّجه إلى منطقة الأحساء أواخر سنة ١٢١١هـ. وكان يظن أن استيلاءه عليها لن يكون صعبًا. فقد كانت فيها عناصر غير راضية عن الحكم السعودي. ولَعلَّ مما يوضح ذلك تلك الثورة التي قامت هناك قبل سنة من تاريخ سير الحملة من العراق. وكان برفقة ثُوَيني زعيمان من زعماء بني خالد، حكام المنطقة سابقًا، هما بَرَّاك بن عبدالمحسن، ومحمد بن عُرَيعر. وكان من السهل إمداد الحملة بحرًا عن طريق البصرة والقطيف أو العُقَير. ومتى استولى قائد الحملة على الأحساء فإن طريقه إلى نجد ستكون سهلة نوعًا ما، لأن الأحساء ستصبح مركز تموين ممتاز له.

وعلى أَيِّ حال فقد كانت هناك أمور لم تؤخذ في الحسبان. فمع أن النظرة الأولى إلى الظروف المحيطة بحملة ثُوَيني بن عبدالله كانت تبعث في نفوس مُؤيِّديها التفاؤل بنجاحها، فإنها لم تَخلُ من بذور فشل في داخلها. ذلك أنه كان يوجد تنافس خَفيٌّ بين زعيمي بني خالد المرافقين لها على رئاسة قبيلتهما مستقبلًا. وفي أثناء سير الحملة تبين لبرَّاك بن عبدالمحسن ميل ثويني إلى محمد بن عُرَيعر، واعتقد أنه قد اتَّفق معه على أن ينفرد برئاسة بني خالد وحكم الأحساء بعد الاستيلاء عليها[1]. ولذلك أضمر في نفسه العداوة لزعيم المنتفق.

وحينما اقتربت قوات الحملة من القوات السعودية المكلَّفة بصدها اتَّصل بَرَّاك بن عبدالمحسن بالقائد السعودي تمهيدًا لانضمامه إليه في الوقت المناسب. ثم لحق سعود بن عبدالعزيز بقوات كبيرة للاشتراك في المعركة المنتظرة. وقبل أن تدور رحى الحرب بين الطرفين وثب رجل اسمه طُعَيس على ثُوَيني بن عبدالله

(١) المصدر الأخير نفسه، ج١، ص١٤٣.

وأرداه قتيلًا. وكان ذلك الرجل أحد مماليك بَرَّاك سابقًا، وأحد المُتحمِّسين للدعوة الإصلاحية[١]. وبمقتل ثُوَيني دَبَّت الفوضى في صفوف جيشه، وانضم بَرَّاك وأتباعه إلى القوات السعودية التي طاردت فلول الجيش المنهزم إلى بلاده. وذلك في مستهل عام ١٢١٢هـ[٢].

وكانت حملة ثُوَيني بن عبدالله بادية الخطورة لكثرة قواتها، ووفرة استعدادها ومؤنها. ولذلك لم يكن غريبًا أن يرى ابن غنَّام فشلها أمرًا عظيمًا، يستحق أن يُخلَّد بقصيدتين طويلتين تقرب إحداهما من تسعين بيتًا، وتقرب الأخرى من ثمانين بيتًا[٣].

ولم يتأخر رَدُّ الفعل السعودي على حملة ثُوَيني. ففي رمضان من سنة ١٢١٢هـ سار سعود ابن عبدالعزيز بقواته، ودخل الأراضي العراقية حيث أغار على بلدة سوق الشيوخ، ثم اتَّجه إلى السماوة حيث هاجم بعض القبائل المجتمعة قربها بزعامة مطلق الجربا أحد زعماء شَمَّر. وانتصر سعود على تلك القبائل، وغنم منها أموالًا كثيرة. وقد قُتِل في تلك المعركة مطلق الجربا، كما قُتِل بَرَّاك بن عبدالمحسن الذي كان مع القوات السعودية[٤].

ورغم أن مصير حملة ثُوَيني كان صدمة لسليمان باشا، حاكم بغداد، إلا أنه لم ييأس. بل رأى أن يُجهِّز حملة أضخم منها تقوم فيها القوات النظامية

---

(١) بينما يقول ابن غنَّام (ج٢، ص٢٣٥)؛ إن طُعَيسًا أسره أناس من أتباع ثويني، فبقى لديهم حتى عزم على اغتياله، فقام بذلك، يقول ابن بشر (ج١، ص١٤٢ - ١٤٣)؛ إنه كان من عبيد الجبور، وإنه فارق برَّاكًا حين اختلف مع آل سعود. ولا يذكر من أسره، وإنما يشير إلى أنه تسلل حتى قام بما قام به. على أن كركوكلي ص٢٠٥ يقول: إن مقتل ثويني كان بتدبير من برَّاك. وابن بشر وإن لم ينص على ما ورد لدى الكركوكلي فإنه يؤيِّده. وقد أصبح ما قام به طُعَيس مضرب مثل للإقدام؛ إذ يقال: باع بيعة طعيس.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١٨٧ - ١٩٨ و٢٣٣ - ٢٣٥؛ ابن بشر، ج١، ص١٣٨ - ١٤٧.

(٣) انظر نصهما لدى ابن غنَّام، ج٢، ص١٩٠ - ١٩٢ و٢٣٧ - ٢٤٢.

(٤) ابن بشر، ج١، ص١٥٠ - ١٥١.

بدور مهم. وأسند قيادة الحملة الجديدة لمساعدة علي باشا، وبذل في إعدادها أقصى ما استطاع. وانطلقت تلك الحملة من العراق سنة ١٢١٣هـ في طريقين: الفرسان ومعهم علي نفسه برًّا، والمشاة والمدفعية بحرًا[١]. ووصل الجميع إلى منطقة الأحساء. وتعاون مع علي من تعاون من أهلها. لكن القوات السعودية الموجودة فيها صمدت أمامه صمودًا عظيمًا، ومنعته من تحقيق أهدافه. وظَلَّ يحاصر قصر صاهود في المُبرَّز من اليوم السابع من رمضان حتى اليوم السابع من ذي القعدة، لكنه لم يستطع اقتحامه أو إرغام من فيه على الاستسلام أو المصالحة[٢]. وأدرك أن مَهمَّته تزداد صعوبة؛ وبخاصة أن بعض فرسانه كانوا من رجال القبائل الذين يملُّون عادة، مطاولة الحصار، ونقصت المؤن بين أفراد جيشه، كما ماتت بعض الإبل[٣]. ثم علم أن سعود بن عبدالعزيز قد تَوجَّه إليه بقوات كبيرة من نجد. فبدأ ينسحب عن البلدان الأحسائية. وبلغ به الخوف واليأس درجة جعلته يتلف بعض مؤنه وعتاده، لئلا يثقله حمله أو يقع في أيدي خصومه[٤].

ووصل سعود بن عبدالعزيز بقواته إلى الأحساء، ثم تَعقَّب جيش علي المنسحب حتى اقترب منه. وحدثت بين الطرفين عدة اشتباكات أدرك بعدها على ضعف موقفه، فمال إلى الصلح وإن حاول أن يظهر بمظهر القَويِّ. ولم يكن سعود، فيما يبدو، غير مَيَّال إلى الصلح ما دام لن ينال قوته ولا بلاده أَيُّ ضرر

---

(١) **لمع الشهاب**، ص١٣٠.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٥٨.

(٣) عباس العزَّاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، بغداد، ١٣٧٣هـ، ج٦، ص١٢٩.

(٤) ابن بشر، ج١، ص١٥٨ - ١٥٩.

منه. وتبادل القائدان الرسائل[1]. ثم اتَّفقا على صلح يعود بموجبه علي بقواته إلى العراق. وعاد إلى هناك سنة ١٢١٤هـ[2].

على أن العلاقات بين باشوية بغداد والدولة السعودية الأولى سرعان ما تَوتَّرت من جديد. ذلك أنه حدث خلاف بين أناس من نجد مُتحمِّسين لمبادئ الدعوة الإصلاحية وبين قبيلة الخزاعل قرب النجف. وكان من نتائج ذلك الخلاف أن قتلت تلك القبيلة عددًا من أولئك النجديين. فاحتج الإمام عبدالعزيز لدى باشا بغداد، وطالبه بدفع ديات القتلى. لكن الباشا لم يَتَّخذ من الإجراءات ما أرضى الإمام. ودارت بينهما مفاوضات عن طريق عبدالعزيز الشاوي، أحد رجالات العراق المشهورين، لكنها لم تُؤدِ إلى نتيجة إيجابية[3].

وفي عام ١٢١٦هـ تَوجَّه سعود بن عبدالعزيز بقوات كبيرة إلى العراق، وقام بهجوم خاطف على كربلاء، حيث قتل عددًا غير قليل من سكانها، واستولى على كثير مما كان فيها من أشياء ثمينة، وحَطَّم ما رآه مخالفًا للدين القويم. ثم غادر تلك البلدة مسرعًا دون أن تدركه قوات علي باشا التي أُرسِلت لمهاجمته[4].

---

(١) أورد الكركوكلي (ص٢٠٩) نص رسالتين متبادلتين بين علي وسعود. وقد وضع علي في رسالته شروطه للصلح، وهي: تخلّي السعوديين عن الأحساء، وإعادة المدافع التي غنموها من حملة ثويني بن عبدالله، ودفع تكاليف الحملة التي أتى بها علي، وعدم تعرضهم لقوافل الحجاج العراقيين بأذى. وقد أجاب سعود على ذلك بقوله: إن الأحساء لم تكن للأتراك حين استولى عليها آل سعود، وإن المدافع عند أبيه في الدرعية، فإن تمَّ الصلح بين الطرفين أعادها إلى العراق، وإنه سيأخذ رأي أبيه في مسألة تكاليف الحملة. أما أمن الحجاج فهو ما سعت إليه الدولة السعودية دائمًا حتى تحقق.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٢ - ٢١٤.

(٣) ابن بشر، ج١، ص١٩١؛ الكركوكلي، ص٢١٦ - ٢١٧.

(٤) عثمان بن سند، **مطالع السعود بطيّب أخبار الوالي داود**، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٥٨٤٠، ص١٣٩.

وكان من نتائج غزوة سعود بن عبدالعزيز لكربلاء أن ازداد الخوف والقلق من الهجمات السعودية في مناطق العراق؛ وبخاصة تلك القريبة من الحدود. وهبطت سمعة سليمان باشا، الذي اتضح أنه غير قادر على حماية البلدان العراقية؛ ناهيك عن إضعاف الدولة السعودية أو القضاء عليها في موطنها.

ولقد شاء الله أن يُتوفّى سليمان باشا بعد حادثة كربلاء بقليل. فَتَولَّى باشوية العراق مساعده السابق علي باشا، الذي كان قائدًا للحملة العراقية ضد الأحساء، كما سبق أن ذُكِر.

وفي العشر الأواخر من شهر رجب سنة ١٢١٨هـ اغتال أحد العراقيين الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وهو يصلي في مسجد الطُّرَيف في الدِّرْعيَّة. وانهال الذين كانوا من حوله على المجرم فقتلوه[١]. وكان ذلك المجرم قد اجتمع بعلي باشا حاكم العراق، وأطلعه على ما خطط للقيام به. فَشجَّعه ذلك الحاكم وأَيَّده[٢]. وقدم إلى الدرعية مظهرًا التديُّن والحماسة للدعوة الإصلاحية حتى تَمكَّن من تنفيذ جريمته.

وفي السنة التي اغتيل فيها الإمام عبدالعزيز تَوجَّه ابنه سعود بقوات كبيرة إلى العراق، حيث هاجم منطقة الزبير والبصرة وقتل من سكان البلدة الأخيرة قتلى كثيرين، كما أخذ أموالًا وأتلف زروعًا، ثم عاد إلى بلاده[٣]. وفي عام ١٢٢٠هـ تَوجَّه بقواته مرة أخرى إلى العراق، وتَوغَّل في تلك البلاد حتى وصل إلى النجف. لكنه لم يستطع دخولها لأنها كانت محاطة بخندق واسع. فتركها إلى السماوة حيث وقعت بينه وبين بعض القبائل فيها مناوشات، ثم اتَّجه بعد

---

(١) ابن بشر، ج١، ص١٦٧. وكان مولده سنة ١١٣٣هـ.

(٢) لونجرج، وترجمة عنوان كتابه: **أربعة قرون من تاريخ العراق**، أكسفورد، ١٩٢٥م، ص٢٢٩.

(٣) ابن بشر، ج١، ص١٧٨ - ١٧٩.

ذلك إلى الزبير، وحدثت بينه وبين سكانها مناوشات قليلة. وبعد ذلك عاد إلى الدِّرْعيَّة[1].

وظَلَّت القوات السعودية توالي هجماتها المباغتة في أكثر الأحيان على الأراضي العراقية محرزة قصب السبق على معارضيها هناك، حتى بات سكان بغداد ذاتها يشعرون بالقلق والخوف[2]. واضطرت كثير من القبائل العراقية الموجودة غرب الفرات أن تدفع الزكاة إلى الدولة السعودية. ولم تتوقف الهجمات السعودية على العراق إلا حينما انشغلت تلك الدولة بالحملة العثمانية التي انطلقت من مصر للقضاء عليها. لكن السعوديين لم يَضمُّوا أراضي عراقية إلى دولتهم.

ب- الدولة السعودية والشام:

كان طبيعيًّا أن تصل غارات القوات السعودية إلى أطراف الشام وهي تَمدُّ نفوذها في شمالي الجزيرة العربية، ذلك أن القبائل في تلك الجهة- شأنها شأن القبائل الرحَّل في كل مكان- لم تكن لها حدود واضحة لا تتجاوزها. وهي في تَنقُّلها وراء مواطن الكلأ، أو في هروبها أمام غارات خصومها، قد تصل إلى أراضي غير أراضيها.

وأول غارة ذكر ابن بشر أن القوات السعودية قامت بها صوب الشام، هي تلك التي قادها حجيلان بن حمد ضد قبيلة الشرارات سنة ١٢١٢هـ[3]. لكن من المحتمل أن هذه القبيلة لم تكن حينذاك في البلاد الشامية ذاتها. ولَعلَّ هذا

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٦.

(٢) عبد الحميد البطريق، رسالة دكتوراه غير منشورة، ترجمة عنوانها: **الحكم التركي والمصري في جزيرة العرب** (١٨١٠ - ١٨٤١)، جامعة لندن، ١٩٥٣م، ص٨٠ - ٨١.

(٣) ابن بشر، ج١، ص١٥٠.

المؤرخ النجدي جرى في تعبيره هنا، على ما اعتاد بعض النجديين من تسمية شمالي الجزيرة العربية شامًا[1]. على أن المؤرخ المذكور أشار عند كلامه عن اغتيال الإمام عبدالعزيز بن محمد سنة ١٢١٨هـ، إلى زكوات المناطق في عهده. ومن بينها زكوات بعض القبائل في الشام[2]. ويبدو أن ما أحرزته القوات السعودية من نجاح في مناطق مختلفة من جزيرة العرب وفي الأراضي العراقية قد جعل تلك القبائل تدفع الزكاة إلى قادة الدرعية خوفًا من هجماتهم عليها، وإدراكًا منها بأن ولاة الشام غير قادرين على حمايتها.

أما أول تَحدٍّ مباشر من الدولة السعودية لوالي الشام العثماني فقد حدث في عهد الإمام سعود ابن عبدالعزيز سنة ١٢٢١هـ. ذلك أن الإمام المذكور منع باشا دمشق، عبدالله العظم، من الوصول إلى مكة المكرمة لخوفه من أن يتآمر مع الشريف غالب ضد الحكم السعودي في البلد الحرام. وبذلك عاد عبدالله مع من كانوا معه من حجاج الشام وما يليها شمالاً دون أداء الحج[3].

ويبدو أن الدولة العثمانية رأت في موقف عبدالله العظم ضعفًا لا يليق بوالٍ لها. فأبعدته عن ولاية دمشق، وعَيَّنت بدلًا منه يوسف كنج. لكن هذا الأخير لم يقم بأَيِّ عمل عسكري ضد الدولة السعودية رغم الأوامر المتكررة التي تَلقَّاها من السلطان العثماني.

وفي عام ١٢٢٥هـ وصل الإمام سعود بن عبدالعزيز بقواتٍ كبيرة إلى الشام قاصدًا الإغارة على بعض قبائلها. لكن تلك القبائل علمت بتحركاته، فاتَّجهت

---

(١) من ذلك قول مسلط بن ربيعان:

عقلت سَبْلا كم لي من يوم ما سايل عن بيرق في الشام

وهو يقصد بيرق محمد بن رشيد أمير جبل شَمَّر. ولعلَّ مما يؤيِّد ذلك ما ورد في كتاب **كيف كان ظهور شيخ الإسلام**: ١٠٣ من مهاجمة حجيلان بن حمد للشرارات في ناحية الجوف.

(٢) ابن بشر، ج١، ص١٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٨ - ١٩٩.

إلى غور الأردن. وتَوغَّلت القوات السعودية في سهل حوران وفي جهات الكرك، وأبدت من النشاط العسكري ما بَثَّ هيبتها في نفوس سكان تلك المناطق[1]. واقتنع السلطان العثماني بأن يوسف كنج لم يكن أقوى من سلفه عبدالله العظم، فعزله عن الباشوية، وعهد بها إلى سليمان باشا، الذي كان واليًا لصيدا وما حولها.

ومن الواضح أن الدولة السعودية لم تَضمَّ إليها شيئًا من أراضي باشوية الشام. لكنها مَدَّت لها نوعًا من النفوذ على بعض القبائل التابعة له إداريًّا. وقد تَمثَّل ذلك النفوذ في دفع هذه القبائل الزكاة إلى القادة السعوديين. ومن القبائل التي أَدَّت زكاتها إلى الإمام السعودي من كانت تقطن قرب مدينة حلب.

٢- علاقتها بفارس:

سبق أن ذكر بأن من نتائج استيلاء الدولة السعودية على شرقي الجزيرة العربية اهتمام الدول المطلَّة على الخليج العربي، أو التي لها مصالح فيه، بهذه الدولة الفتية. وكان من تلك الدول الدولة العثمانية مُمثَّلة في باشوية بغداد. وقد مَرَّ الحديث عن علاقة السعوديين بالباشوية المذكورة.

ومن الدول التي اهتمت باستيلاء آل سعود على منطقة الأحساء الدولة الفارسية. وإذا كان قد وجد خلاف حاد بين أنصار الدعوة الإصلاحية وكثير من المنتمين إلى المذهب السُّنِّي حينذاك فقد كان من المتوقع أن يوجد خلاف أكثر حِدَّة بين أولئك الأنصار وحكومة فارس التي كانت تدين بالمذهب الشيعي. ومعلوم أن بعض سكان المنطقة الشرقية ينتمون إلى هذا المذهب. ومع أن هؤلاء كانوا خاضعين لحكم زعماء بني خالد السُّنيين قبل دخول المنطقة المذكورة في

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٨ - ١٩٩.

حكم آل سعود، إلا أن حكم أولئك الزعماء الخالديين لم يكن قائمًا على أساس من العقيدة مثلما كانت عليه الحال بالنسبة للحكم السعودي. ولذلك فإن حكومة فارس نظرت إلى دخول شركائهم في المذهب تحت ظل حكومة سُنِّية مُتحمِّسة لعقيدتها نظرة تختلف عن ذي قبل.

على أن الضربة التي تَلقَّتها الحكومة الفارسية حدثت عندما شَنَّ السعوديون، سنة ١٢١٦هـ، هجومًا خاطفًا على كربلاء، البلدة المقدَّسة لدى الشيعة. فقد تَعمَّق الخوف لديها من الدولة السعودية، وازداد كرهها لها. ولم يكن غريبًا أن تقف الحكومة الفارسية بعد تلك الحادثة بعام واحد مع سلطان مسقط في نزاعه مع آل خليفة وحلفائهم السعوديين[١].

وقد استمرت الحكومة الفارسية في دعم السلطان العماني ضد قوات السعوديين المهاجمة لبلاده ذاتها[٢]. وكان القضاء على الدولة السعودية على يد محمد علي، حاكم مصر، مبعث فرح لدى الحكومة المذكورة[٣] ذلك أنها رأت فيه غياب دولة جمعت بين القوة العسكرية، التي كادت تُوحِّد المنطقة الخليجية بكاملها، والعقيدة السُّنِّية المحافظة التي تدفع مقاتليها إلى الاستماتة في سبيل نشر ما آمنوا به.

٣- علاقتها ببريطانيا:

الدولة الأوروبية التي نتج عن استيلاء السعوديين على المنطقة الشرقية من جزيرة العرب احتكاك بها هي بريطانيا. ذلك أن ما يحدث في الخليج العربي

---

(١) عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه: الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩٢.

كان مُهمًّا بالنسبة لها، لما قد يَترتَّب عليه من تأثير على نفوذها في الهند وعلى خطوط مواصلاتها إلى هناك.

وكان يوجد تنافس بين بريطانيا وفرنسا على بسط النفوذ في عمان حينما بدأت الغزوات السعودية لتلك البلاد. ولَعلَّ مما دفع سلطان مسقط إلى توقيع اتِّفاق مع بريطانيا، سنة ١٢١٣هـ، ثم تأكيده سنة ١٢١٥هـ، خوفه من نتائج تلك الغزوات وإن كان ظاهر بنود الاتِّفاق المشار إليه يَتعلَّق بالتنافس بين البريطانيين والفرنسيين.

وكان انضمام القواسم- وأهم مراكزهم رأس الخيمة- إلى الدولة السعودية سنة ١٢١٤هـ، من الأمور التي أدَّت إلى الاحتكاك بين هذه الدولة وبريطانيا. فقد ازداد النشاط القاسمي البحري، وأصبح لا يقتصر على مهاجمة السفن العمانية، وإنما يشمل سفن بريطانيا المتضامنة مع العمانيين. وقد تَسبَّب ذلك في هجوم بريطاني على رأس الخيمة سنة ١٢٢٠هـ. واتَّفق الطرفان القاسمي والبريطاني بعد ذلك الهجوم على أَلَّا يعتدي أحدهما على الآخر[١].

على أن نشاط القواسم ما لبث أن عاد بعد حوالي ثلاث سنوات إلى ما كان عليه قبل الاتِّفاق المذكور. وكان رَدُّ بريطانيا أن قامت بهجوم عنيف على المواقع القاسمية سنة ١٢٢٤هـ.

ومن الواضح أن البريطانيين حاولوا أن يتعاملوا مع القواسم، وكأنهم جهة مستقلة عن الدولة السعودية، وأن يتفادوا المواجهة المباشرة مع هذه الدولة. ولم يكن موقف السعوديين، أيضًا، موقف من يرغب في مواجهة مع البريطانيين.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٤.

ولذلك فإن حكومة الهند البريطانية أعربت للإمام سعود بعد هجومها على القواسم عن رغبتها في استمرار العلاقات الطيِّبة بينهما. وجاء رَدُّ الإمام على ذلك مُتضمِّنًا مشاركة تلك الحكومة الرغبة في استمرار هذه العلاقات، وموضحًا أنه أمر أتباعه بألَّا يَتعرَّضوا لسفنها. ولَعلَّ من بين أسباب عزله سلطان بن صقر القاسمي، سنة ١٢٢٥هـ، الحَدَّ من نشاط القواسم الذي قد يُؤدِّي إلى اصطدام مع بريطانيا.

وهكذا بدا أن البريطانيين كانوا يدركون قوة السعودية في داخل الجزيرة العربية، وأن قادة الدولة السعودية كانوا يدركون قوة البريطانيين في المجال البحري، فَتصرُّف كل منهما بوحي من ذلك الإدراك.

وحينما نالت قوات محمد علي باشا من الدولة السعودية ما نالت أبدى البريطانيون فرحهم وابتهاجهم، وانتهت تلك القوة التي كانت تساند القواسم. فقاموا بمهاجمة رأس الخيمة، سنة ١٢٣٤هـ، بعنف لم يسبق له مثيل، واستطاعوا أن يفرضوا على شيوخ تلك الجهات معاهدات رَسَّخت نفوذهم في مناطق الخليج العربي كلها أكثر من ذي قبل.

*****